الإرهاب بين الدين والدولة

السراج اليماني

لا تكاد تُطْلَقُ لفظة الإرهاب الآن إلا ونما إلى الشعور والوجدان والعقل الباطن صورة الأرواح المزهقة، والدماء المراقة، والأشلاء الممزقة، والعمران المقوّض.

والعجيب أن الإسلام غدا المتهم الأول بعد كل حادث إرهابي بأنه دين يحث أتباعه على القتل والعنف والتطرف، ويكفي أن يقع حادث إرهابي في مكان ما من العالم، لتسمع بعده مباشرة في جميع وكالات الأنباء أن مرتكبيه مسلمون خرجوا من عباءة الإسلام.

مفهوم الإرهاب

ومن الملاحظ أن مفهوم ظاهرة الإرهاب تعددت خاصة في السنوات الأخيرة، بسبب تعدد السياسات والثقافات والعقائد للشخص أو الهيئة أو المنظمة أو الدولة، وظهر أن هناك تبايناً كبيرًا بين مفهوم الإرهاب في الرؤية السياسية عنه في الرؤية الإسلامية.

في الرؤية السياسية:

عرّفته لجنة الإرهاب الدولي التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٨٠م، بأنه:

«عمل من أعمال العنف الخطيرة يصدر عن فرد أو جماعة بقصد تهديد الأشخاص أو التسبب في إصابتهم أو موتهم سواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين، ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو المواقع السكنية أو بهدف إفساد علاقات الود والصداقة بين الدول أو بين مواطني الدول، أو ابتزاز تنازلات معينة من الدول في أي صورة كانت».

وعرفته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب سنة ١٩٩٨م، المادة الثانية، بأنه:

«كل فعل من أفعال العنف والتهديد أيا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر».

ويؤكد جوناثان وايت على ضرورة عدم اكتفاء فهمنا من خلال مداخل سياسية، بل إن علم الاجتماع في غاية الأهمية في هذا السياق. ويؤكد على عدم وجود تعريف واحد لمفهوم الإرهاب؛ ولذلك فقد اقترح أن يعرف الإرهاب من خلال أنماط مختلفة للتعريف:

– نمط التعريف البسيط والعادي للإرهاب، ويعني عنفًا أو تهديدًا يهدف إلى خلق خوف أو تغيير سلوكي.

– النمط القانوني لتعريف الإرهاب، ويعني عنفًا إجراميًا ينتهك القانون ويستلزم عقاب الدولة.

– التعريف التحليلي للإرهاب، ويعني عوامل سياسية واجتماعية معينة تقف وراء كل سلوك إرهابي.

– تعريف رعاية الدولة للإرهاب، ويعني الإرهاب عن طريق جماعات تُستخدم بواسطة دول للهجوم على دول أخرى.

– نمط إرهاب الدولة، ويعني استخدام سلطة الدولة لإرهاب مواطنيها.

أما مفهوم الإرهاب في الرؤية الإسلامية:

فقد استخدم القرآن الكريم لفظة الإرهاب بقصد صد المعتدي، وإرجاع الناس إلى الطريق القويم، ومنعهم من الفساد في الأرض، قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» . (سورة الأنفال:٦٠).

فظهر أن الإرهاب إنما يكون لعدو الله وعدو المؤمنين وللمنافقين الذين يحاربونه من وراء ستار، ولكن الإعلام ابتذل هذا المصطلح القرآني حتى عاد مرادفًا للعدوان، والظلم، والطغيان، وقتل المدنيين والأبرياء، وخلط الأوراق، وسوء النية، إلى غير ذلك مما يأباه كل مسلم على وجه الأرض.

وقد عرفه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بأنه: «ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض. ومن حق الدولة التي يقع على أرضها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين وأن تقدمهم للهيئات القضائية لكي تقول كلمتها العادلة فيهم».

وعرفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه:

«عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف، والأذى، والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها» .

وللحقيقة؛ فإن الإرهاب في الرؤية الإسلامية له معنيان:

المعنى الأول – هو إرهاب العدو عن أن يعتدي على الحرمات وهو بهذا يلتقي مع مفهوم المقاومة المشروعة، لأن الباعث من ورائه هو الدفاع عن النفس، وهو يأتي – أيضًا – بمعنى التخويف، والرّهبة هي الخوف، والله سبحانه يُرَهِّبُنا أي يُخوِّفنا من عقابه إن انْحرفنا فيقول: «وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا» (سورة الإسراء:٥٩).

والإنسان يُرْهِبُ غيره بأساليب متنوعة ولأغراض متعددة، فإن كان لغرض مشروع كالتأديب والنهي عن المنكر كان مشروعًا، ومنه:

– تأديب الصبي إذا ترك الصلاة: «وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ».

– وتأديب الزوجة الناشز: «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ» (سورة النساء:٣٤).

– إرهاب العدو منعًا لعُدوانه علينا، وذلك بالاستعداد لمقاومته وبوسائل أخرى كالدّعاية لتخْويفه، قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ» . (سورة الأنفال:٦٠).

أما المعنى الثاني للإرهاب – وهو الذي انتشر معناه وغلب على الكلمة – فهو الاعتداء على المظلومين وقتل المدنيين بدون سبب مشروع، وهو – كما يرى العلماء – محرم شرعًا ، فكل من اعتدى على مدني مسلم أو غير مسلم ، فقد تجاوز حد الله، ذلك أن الإسلام دِينُ السلام، لا يبدأ بعُدوان، ويُؤْثِر السلامة على المُخاطرة، والحب على الكراهية، والقرب على البعد، والاجتماع على الفرقة والتشتت قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» (سورة البقرة:٢٠٨)، وَهُو دخول فِي السِّلْمِ بَيْنَ المُسلمين بعضهم مع بعض وبينهم وبين غيرهم، قال تعالى:

«وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ» (سورة الأنفال٦١).

ممارسات مغلوطة

وعلى أرض الواقع نفاجأ بمفارقات عجيبة ، تتعلق بممارسات الإرهاب، فعلى حين يفسر الإسلام أفعال المقاومة ضد المحتل بأنها مشروعة ، بل وتعترف بها دساتير دول العالم كله ، نجد أنها تفسر من قبل الغربيين – إذا مارسها المسلمون – بأنها إرهاب تجب محاربته!! وحينما يمارس الغربيون الاعتداءات على الدول والشعوب – الإسلامية بالطبع – لا يجرؤ أحد أن يسمي ذلك إرهابًا ؛ لأنهم فرضوا علينا تسميتهم وهي: «دفاع عن النفس» أو «حرب تحرير»، أو «حماية المصالح».

ومن ذلك:

١ – حينما يدافع الفلسطينيون عن عقيدتهم وأرضهم ووجودهم وثرواتهم ، فهذا في الإسلام واجب وفرض عين، بينما تفسره السياسة أنه إرهاب، ويصبح المقاومون إرهابيون، وفي المقابل حين تغير عليهم الطائرات الصهيونية وتجتاح أراضيهم القوات البرية يُسمى هذا «دفاع عن النفس».

٢ – أفعال المقاومة هي أفعال مشروعة في الإسلام ، ولكنها في الفهم السياسي الأمريكي والغربي عمومًا هي أفعال ثوار، وحينما يتصدى المقاومون الشيشانيون للروس على أرضهم يقولون عنهم : الثوار الشيشان ، وفي المقابل حينما تصب عليهم القوات الروسية النيران يسمون هذا التدخل الروسي في الشيشان.

٣ – احتلال أمريكا للعراق لا يوجد تفسير له في الإسلام إلا أنه «غزو واحتلال» تجب مقاومته والوقوف في وجهه، بل ربما فُسر من قبل البعض على أنه إرهاب دولة، إلا أنه يفسر من قبل السياسة الأمريكية على أنه «عملية تحرير للعراق».

٤ – شيوع بعض التقسيمات حتى بين المتفقين على استعمال مصطلح معين مثل «المقاومة» فالبعض يقسمها إلى تقسيمات ثانوية مثل المشروعة أو الشريفة و غير المشروعة «منظمة إرهابية» بينما يعتبرها البعض الآخر «حركات جهادية» أو «تحررية».

٥ – ومن صور الاختلاف في الممارسات أن الشخص في بلداننا الإسلامية يؤخذ بالشبه ومن ثم تهدر آدميته حيث يتعرض للسجن فترات تطول أو تقصر، فقط لأنه مشتبه فيه، من دون تيقن أنه فعل أو ارتكب أيًا من أفعال الإرهاب، أما في البلدان الغربية فالأمر مختلف حيث إن هناك قانوناً لأخذ الناس بالشبه؛ فالمعتقل يؤخذ ليوم واحد ثم يطلق سراحه بعد ذلك.

أما الإسلام فينظر للأمر نظرة أخرى ، إذ يعتبر أن ذمة الإنسان في الأصل بريئة، وأن اتهامه بأمر ما يعد عارضًا، فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته.

دين السلام

إن الإسلام هو دين السلام والأمن والأمان، وحينما تُوجه إليه وإلى أتباعه الاتهامات بالإرهاب، بقصد أو بدون قصد، فينبغي أن نوضح كيف اهتم الإسلام بأمن الإنسان، حتى في أدق تفاصيل حياته ، وذلك واضح لا لبس فيه:

– فقد وصف الله المؤمنين المتقين بالمسالمة: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا» (الفرقان:٦٣).

– وامتن بالأمن على قريش فقال: «الذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» (سورة قريش:٤).

Alserag2020@hotmail.com

الخيانة العظمى

فايز البخاري

.. من محاسن الأزمة الراهنة التي تمر بها بلادنا وبعض الأقطار العربية والتي يذكي فتيلها الإخوان المسلمون أنّها أسقَطَتْ كل الأقنعة الزائفة التي كانوا يتسترون خلفها وكشفتْ زيف شعارات ومسوح الدين التي كانوا يتدثّرون بها،وذلك حين أعلنوا قبولهم بالتعاون والتحالف حتى مع الشيطان في سبيل تحقيق غايتهم الدنيئة ومآربهم الخبيثة في الانقلاب على نظام الحكم الشرعي وتسلّم مقاليد السُلطة مهما كان الثمن.

وهو الأمر الذي دفَعَهم اليوم إلى التسابق للارتماء المُخزي في أحضان الأجنبي واستجداء العون من العدو التاريخي للأمّة الذي لم يكن ليرى في هذه الأمّة المحمّدية غير عدوّ لدود،ولم يسعَ للتعامل معها إلّا بقدر مصلحَته.وهو ما بدا واضحاً في التدخُل في العراق وليبيا اللتين تقعان على بُحيرة من النّفط،فيما لم يحاول التدخُل في أيّ من الأقطار العربية الأُخرى تبعاً لمصلحته..ً وهذا للأسف ما يجهله هؤلاء الإخونجيون أو يتجاهلونه من أجل مصالحهم الذاتية،ضاربين بكل القواعد الدينية والقومية والأخلاقية التي ظلّوا يزنّون على مسامعنا بها عقوداً من الزمن عرض الحائط،وبالذات الثوابت الدينية التي تُحرّم الاستعانة بمشرك.

واليوم هاهم أقطاب الإخوان المسلمين ومَن سار على نهجهم وارتضى أنْ يكون ذَنَباً في قافلتهم من قيادات أحزاب اللقاء المشترك يبذلون كل جهودهم وباستماتة عجيبة للاستعانة بالمشركين على أبناء جلدتهم وإخوانهم في الدين والأرض واللغة والتاريخ المشترك؟؟!!

ألم يكونوا يصموا آذاننا بهجاء وذم ابن العلقمي الذي سَهّلَ للمغول احتلال بلاد الشام؟! والقدح بالجلبي الذي مهّدَ لاحتلال العراق؟! فما بال ذلك قد تغيّرَ وأضحى بين عشية وضحاها شيئاً مسموحاً،مع أنّ النصوص الدينية وباتفاق كافة المذاهب الإسلامية لا تزال تُحرّم وبشدّة الاستعانة بالمشركين حتى ولو علىَ مشركين، فما بالُنا بأبناء جلدتنا؟؟!!

إنها الخيانة العُظمى التي يقومَ بها ويمارسها تنظيم الإخوان المسلمين على مستوى الوطن العربي وفي بلادنا بالذات،وليس أدلّ على ذلك من قول الرئيس الأمريكي باراك أوباما : (الإسلاميون هم صمّام الأمان في الشرق الأوسط) فقد فضحَ مدى التنسيق الكبير بين الإخوان المسلمين وبين القوى الدولية المهيمنة التي تنقم بطبعها على الإسلام والمسلمين كما ربّانا على ذلك قادة الإخوان بخُطبِهِم وأدبيّاتهم وكُتُبهم.

فكَيْفَ تحوّل هذا العداء المستميت إلى علاقة ود وحب من العيار الثّقيل؟!.. ثُمّ ما الذي استجدّ على أرض الواقع حتى نلوي النصوص الدينية بهذا الشكل المقزز ونتخلى عن قيمنا الدينية والعربية الأصيلة من أجل التمسّح على أبواب السفارات والمنظمات الدولية طلباً للعون ضد نظام وحاكم مسلم لا تجيز النصوص الدينية الخرُوج عنهُ، فما بالُنا بالاستعانة بالأجنبي للخروج عنه والمجيء به إلى عقر دارنا؟!

أليس في كل ذلك ما يبعث على الأسى والحزن ويوجب الاصطفاف لقتال هؤلاء البُغاة الذين يلهثون كالكلاب من دولة إلى أُخرى بحثاً عمّن يأتي ليحتل بلادنا ويمكّنهم من السلطة كما فعل خونة العراق الذين كانوا أوّل مَن نبذهم المحتَل غداة إحكام سيطرته على ثروات العراق.. فأين الجلبي وزمرته من السلطة اليوم؟!

ثمّ ألم يقل الزنداني في وقتٍ سابق قبل اندلاع أحداث هذه الأزمة أنّ الغرب يسعى للزّج بالشعوب العربية لمواجهة زعمائها وإيقاع الفتنة بينهم وهذا لا يخدم سوى العدو الأجنبي؟!

إنّ تسوّل بعض القيادات الإخوانية القبلية في بعض الدول الخليجية والغربية والتباكي عند أقدام الأجنبي لن يخدمهم كما لن يخدم هذا الوطن بشيء، وسوف يكون وبالاً على الجميع.

وما نرجوه من هؤلاء الخونة جميعاً هو أنْ يثوبوا لرشدهم قبل أن يستفحل الخطر،لأنّ الشعب اليمني بأكمله سيقف بالمرصاد لكل مَن يسعى لإيجاد التدخُل الأجنبي في اليمن من قيادات أحزاب المشترك وتنظيم الإخوان المسلمين عبر سعيهم الحثيث لتدويل الأزمة اليمنية وإعطاء فرصة للغرب للتدخل في شئوننا الداخلية من أجل مساعدتهم في الوصول للسلطة.

اليمنيون سيقفون بقضّهم وقضيضهم ضد هذا المشروع التآمري حتى ولو تجرّعوا السُم الزُعاف في ظل نظام يرأسه قادة من أبناء اليمن مهما بلغَ مدى فسادِهم.. فهل تعون يا مَن فررتم من مواجهة الواقعَ وذهبتم لتنبطحوا في دول الغرب بحثاً عن الخلاص من عدو تعلمون علم اليقين أنّه لا يقف إلّا مع مصالِحِه؟!

faiz.faiz619@gmail.com

البحث عن حلول جذرية

يحيى محمد العلفي

.. كلما اتسعت دائرة الأزمة السياسية التي تشهدها الساحة اليمنية- منذ تسعة أشهر خلت – كلما تعمقت في الناس روح البحث عن حلول جذرية تعيد لأبناء الوطن نفس الأمل والمثابرة في الحياة الآمنة المستقرة ونبذ العنف والتطرف وكل أشكال الاختلالات الأمنية التي تعم ساحات شوارع وأحياء المدن الرئيسية والثانوية وجميع مناطق الجمهورية والرجوع إلى الفضيلة التي هي أرقى أنواع السلوك الإنساني الذي به تعتز الشعوب وتبلغ ذروة التطور والرقي.

إذ أن الأزمة الراهنة قد سحبت آثارها على كافة أوضاع البلاد الاقتصادية والأمنية والمعيشية ، وجعلت هم وتفكير جميع أبناء الوطن ينحصر فقط حول كيفية الخروج من محنة ليس لغالبية المواطنين ضلع فيها ولا مصلحة من وجودها اللهم ما ينغص عيشهم ويكدر عليهم حياة الأمن والاستقرار أو ما يعطل بها مصالحهم ويلهيهم عن أعمالهم ومهامهم الأساسية.

وبعد هذه الفترة الزمنية من عمر هذه الأزمة الخطيرة بات من واجبنا جميعا نحن أبناء الشعب اليمني ، ومعنا أيضا الشرفاء سواء في السلطة أو في المعارضة والحريصين على مكتسباتنا ومنجزات الثورة والجمهورية وفي مقدمتها المنجز العظيم والرائع الوحدة اليمنية والنظام الديمقراطي التعددي الذي تسير عليه بلادنا بات من واجبنا جميعا أن نتحرك ونعمل سياجا منيعا لحماية اليمن التي هي أغلى وأسمى وأكبرمن كل مكتسبات وأطماع الدنيا وتفويت الفرصة على الأعداء وضعاف النفوس وتجار الحروب وأصحاب المصالح والنفوذ ممن لا يريدون لهذه الأرض الطيبة الطاهرة أن تعيش حياة آمنة مستقرة مزدهرة.

نعم كيف لا نتحرك كلنا وقد بلغ السيل الزبى ووصلت المخاطر والخطوب إلى عقر بيوتنا وصار علينا أن نحترس ونبحث عن مخابئ تقي أطفالنا ونساءنا والعاجزين منا ويلات ومآسي المدافع والصواريخ والقذائف التي تهز كل شارع وحي وتدمر البيوت وتحرق المؤسسات والشركات والمرافق العامة والخاصة وتفزع الآمنين وتروع الأبناء والأمهات .. وأن الواجب الديني والوطني يفرض على كل ذي وازع وضمير أن لا يقف موقف المتفرج ، بل لا بد أن نقوم قومة واحدة ونتدارك بما يمكن وما لا يمكن من الأمور والمواقف العملية التي ترسو بنا وببلادنا في بر الأمان حتى وإن كان ذلك على حساب إسقاط أسماء ومسميات لشخصيات لامعة أو أحزاب وتنظيمات مشتركة ومتشاركة وعلينا أيضا أن نقول للحق حقا وللباطل باطلا فنقف بحزم ومصداقية مع الحق وأهله ونقاوم الباطل ولو كان من أولادنا .. فالحل عجيب في بلادنا .. بل وكل شيء عجيب وغريب في حياة الشعب اليمني .. وهو ما يحتاج في تقدير الكثير من اليمنيين على الأقل في هذه المرحلة الحرجة – الدقيقة – إلى تمعن وتفهم واستدراك كافة القوى الضالعة في هذه الأزمة الخطيرة التي تشهدها اليمن منذ تسعة أشهر خلت بما مثلته من انبعاثات وأبعاد خطيرة قد تؤدي إلى حرب أهلية طويلة تأكل الأخضر واليابس ولا يسلم من نكباتها أي بيت يمني – ولا سمح الله.

صنعاء العاصمة تتعرض للظلم والظلام

د. محمد علي بركات

كانت تنظم القصائد العصماء في وصف جمالها ومآثرها العتيقة الساحرة.. وكان الأدباء والشعراء ولا يزالونا يتغنون بمختلف العناصر الجمالية التي تزخر بها، وبكل ما تتفرد به من فنون العمارة.. ويتجسد ذلك في دورها ومبانيها وفي حواريها وأزقتها، وفي منارات مساجدها العامرة.. لا يزال الفنانون يشدون بعيون الشعر الغنائي وبالألحان اليمنية الصنعانية التي تنساب روعة وجمالاً، ويرددها كل أبناء اليمن، تلك التي تجسد جمال مدينة الفن والأدب والجمال والتاريخ والحضارة.. المدينة التاريخية الأصيلة التي تعددت أسماؤها وصفاتها عبر العصور الغابرة.

فهي «صنعاو» منذ العهد السبئي، ومدينة «سام» عند أهل الأخبار، نسبة إلى «سام بن نوح» حيث يروى أنه أول من أمر ببنائها، ومدينة «صنعاء» هو الاسم الذي عرفت به منذ فترة ميلاد المسيح عليه السلام، ومدينة «أزال» في قصائد الشعراء المتميزة والنادرة.

تلك هي مدينة صنعاء قلب الوطن اليمني وعاصمته، ملتقى كافة أبناء اليمن التي يعود تاريخها العريق إلى العهد السبئي والحميري، فهي إحدى أقدم المدن وأهمها في اليمن وفي منطقة الخليج العربي والجزيرة.. وتقع في أعدل السهول هواء، وأخصبها تربة، وأصحها مناخاً، وأحصنها موقعاً، وقد أشار المؤرخون بجلاء إلى أهمية تلك المعلومات المثيرة.

وتكثر في صنعاء الجوامع الضخمة، وتنتشر المآذن بارتفاعاتها المختلفة فوق سماء المدينة، كما تبرز القباب بأشكالها الجذابة، وتنتشر الحدائق الموقوفة لدور العبادة، ويتجلى الطابع المعماري البديع للمدينة في دورها العالية، لتشكل بذلك لوحة حية جميلة ومعبرة.

ولما تشكله مدينة صنعاء من أهمية تاريخية وحضارية، وصفها العديد من المؤرخين والرحالة والأدباء والشعراء والملوك، ومنهم الرحالة العربي ابن بطوطة الذي وصفها بأنها حسنة العمارة، معتدلة الهواء طيبة الماء، وهي قاعدة اليمن الأولى وذلك الوصف قطرة من مطرة.. كما وصفها الريحاني أحد مشاهير المؤرخين العرب قائلاً «فما كذب التاريخ وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي، فما كذب الشعر وفي خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات، فما كذب العلم وهذه كنوزك وسحر قصورك» وهذا الوصف لاشك يمثل أهمية كبيرة.

أما الهمداني العالم والمؤرخ والشاعر صاحب صفة جزيرة العرب فقد اعتبرها إحدى جنان الأرض وقال عنها:

أرض تخيرها سام وأوطنها
وأس غمدان فيها بعدما احتفرا
أم العيون فلا عين تقادمها
ولا علا حجر من قبله حجرا
لا القيظ يكمل فيها فصل ساعته
ولا الشتاء يمسيها إذا قصرا

وتغني بجمال صنعاء كذلك أحد ملوك اليمن التبابعة قائلاً في بعض أشعاره.

دارنا الدار ما ترام اهتضاما
من عدو ودارنا خير دار
إن قحطان إذ بناها بناها
بين برية وبين بحار

وأضاف متغنياً بمحاسنها:

طاب فيها النبات والماء والنوم
وليل مطيب كالنهار
إن آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا إلى الآثار

ذلك غيض من فيض مما قيل في مدينة صنعاء التي عرفها وتحدث عنها كل أولئك، وعرفت في الشرق والغرب من خلال تاريخها العريق، ومن خلال الزوار والسياح والمستشرقين والباحثين العرب والأجانب كمدينة تاريخية، وكمتحف طبيعي واسع زاخر بمعالمه وآثاره.

هذه المدينة النادرة الآمنة انقلب حالها رأساً على عقب خلال هذه الفترة من تاريخها جراء الأحداث الخانقة التي تعصف باليمن، وما جرته على سكان العاصمة صنعاء من مآس مريرة.. فلقد شوه جمال المدينة حين تعرضت أحياؤها للخراب والدمار نتيجة حرب الشوارع والنيران المستعرة.. وبرزت مناظر العنف والمشاهد الإجرامية البشعة والأجواء المتوترة.. واستبدل نسيمها العليل وطقسها الجميل بالغبار والدخان، واستبدل سكون ليلها البديع بأزيز الرصاص وأصوات المدافع والقذائف والصواريخ الهادرة.

وتحول الهدوء في أحيائها العتيقة إلى أنين وصراخ وحسرات المصابين بنيران آلات الخراب العمياء وبتلك الأسلحة الفتاكة المدمرة.. كما دمرت المساكن والمنشآت الخدمية، واستحلت الدماء، واستبيحت المدارس والمعاهد، ودمرت المعالم وكل شيء جميل، وارتكبت الفظائع والأعمال المريعة ضد سكان هذه المدينة المنكوبة، وأصبحت الحياة فيها صعبة وعسيرة.

فماذا بعد تحطيم المنجزات، ونهب الخيرات، ونشر الفزع والهلع في الشوارع والأحياء الآمنة المستقرة؟ وماذا بعد أن يخيم الظلم والظلام على كافة الأرجاء، ويبث الخوف والرعب في قلوب الأطفال والنساء والعجائز، ويصعب الحصول على متطلبات المعيشة والحياة اليومية، مما دفع سكان بعض الأحياء إلى الرحيل عن مدينتهم رغماً عنهم، تاركين مصالحهم ومصادر أرزاقهم اليسيرة؟ إضافة إلى حرمان أبنائهم من التعليم في مدارسهم، وذلك للابتعاد عن أهوال العنف والخراب والدمار، وتجنب ما يمكن أن تجلبه عليهم من مضرة وخطورة؟

وقد هاجر أولئك من مدينتهم وقلوبهم تقطر دماً على فراقها، عدا أن أوراحهم ظلت تلازم كل ركن عاشوا فيه، وكل زقاق مشوا فيه، وظلت تحوم حول مساجدها وحدائقها وأسواقها الشعبية والتقليدية القديمة، ومجالس الأصدقاء في أحيائهم والأحياء المجاورة.

ذلك هو حال صنعاء المدينة التاريخية الجريحة التي تهدم، وتشوه معالمها، ويشرد سكانها، وتنتهك محارمها ظلماً وعدواناً بأيادٍ يمنية، نقول ذلك وقلوب أبناء اليمن جميعاً يعتصرها الألم والحسرة.

وهانحن ننتظر أن تصحو الضمائر، وأن يبادر العقلاء والحكماء بيمن الإيمان والحكمة، ومحبو اليمن من الأشقاء والأصدقاء، يبادر الجميع بالمساعي الطيبة المخلصة للتوفيق بين كافة الأطراف السياسية، وجمعهم على كلمة سواء حقناً لدماء اليمنيين، وحفاظاً على الوطن ووحدته ومقدراته ومنجزاته التنموية وحفاظاً على الأمن والاستقرار في اليمن وفي البلدان المجاورة وفي المنطقة العربية.. وتلك هي القضية.

Drbarakato@gmail.com